المحاضرة الثانية: الجزائر إبان الحرب العالمية الأولى

أثرت الحرب العالمية الأولى بشكل فاعل على تطور النضال الجزائري، ومثلت بحق مرحلة متميزة في تاريخ الجزائريين، وقد خلفت أحداثها وتطوراتها انعكاسات بالغة على الأوضاع الداخلية والخارجية للجزائر، فلماذا أسهمت هذه الحرب في إحداث كل تلك التغييرات، وكيف انعكست هذه التغيرات على أوضاع الجزائريين السياسية بالخصوص؟

1- أوضاع الجزائر عشية اندلاع الحرب:

أخضعت الجزائر للسيطرة الفرنسية وتمكن المستوطنون من فرض هيمنتهم الاقتصادية على الجزائر، وبذلك سخروا كل الطاقات لخدمة أهدافهم ومطامحهم الذاتية، وفي ظل القوانين الاستثنائية الجائرة والظروف الاقتصادية الصعبة لم يكن بمقدور الجزائريين القيام بثورات شعبية، خاصة وأن البنية الاجتماعية المتمثلة في القبيلة كانت قد حطمت ولم يعد بوسع الجزائريين تأمين السلاح في ظل الفاقة وحالة البأس، وقد أدى التطور الداخلي والخارجي خلال بداية القرن العشرين إلى يقظة الجزائريين وإدراكهم لأهمية انتهاج الطرق السلمية السياسية في النضال الوطني والدفاع عن حقوق الجزائريين المغتصبة، وهكذا تحولت أمال الشعب الجزائري من نهج المقاومة العسكرية إلى رهان المقاومة السياسية[1]، وقد خاضت النخبة الجزائرية عشية اندلاع الحرب العالمية معارك سياسية ضد الإدارة والمستوطنين، ومنها معركة المطالبة بالإصلاحات الخاصة بالمسلمين، ومناهضة التجنيد الإجباري الذي فرضته فرنسا بالقوة على الجزائريين[2].

---

[1]- يحي بوعزيز: ثورات الجزائر خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، ط2، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1996، ج 2، ص 7.

[2]- عبد الرحمان العقون: الكفاح القومي والسياسي، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1987، ج1، ص- ص 33-39.

وكـان أملهـم كبيـرا فـي أن تفـرز الحـرب العالميـة فرصـا مناسـبة لتحقيـق مطـالبهم الوطنية.

2 – الحرب وأمال الجزائريين منها.

اندلعت الحرب العالمية الأولى في صيف 1914، واعتقد كثير من الجزائريين أن الهزام فرنسا فيها سيعود بالفائدة عليهم، وقد وجدت الدعاية الألمانية صدى واسعا بين الجزائريين، فالتحق بعضهم بصفوف الجيش الألماني أملا في انتصار ألمانيا وتحقيق الاستقلال، وأمل المتعاطفون مع هذه الدعاية أن يجلب انتصار ألمانيا والدولة العثمانية استقلال الجزائر، وقد كان وجود الأمير علي بن الأمير عبد القادر في الجبهة الأوربية للإشراف على تدريب الجزائريين عاملا مشجعا معتبرة من الجنود الجزائريين في الجيش الفرنسي.[3]

ولم تكن حركة النخبة في هذه الظرفية الحاسمة قد أنضجت مشروعا واضحا تدافع عنه، وهو ما أضعف الموقف الوطني ومكن الإدارة الفرنسية من أن تلتف على آمال الجزائريين، فقد أكدت فرنسا أن الجزائريين مخلصين لها، واتخذت كامل احتياطاتها لمواجهة الموقف، ومنها مواجهة الدعاية الألمانية التي تؤثر على الجنود في جبهات القتال، وقد خاب أمل الجزائريين بفشل التحالف المركزي في الحرب، ولم تكن الثورات الشعبية قادرة على الحمود في وجه فرنسا التي استعادت قوتها، وهكذا بقي أمل النخبة معلقا على مبادرة فرنسا لرد الجميل لأولائك الذين ضحوا من أجل علمها.[4]

3- سياسة فرنسا تجاه الجزائريين:

بعد إعلان الحرب مباشرة توجه الحاكم العام في الجزائر للجزائريين بخطاب دعا فيه الجزائريين لمساعدة فرنسا حامية الإسلام، وتحدثت كثير

---

[3]- حول الدعاية الالمانية وصداها في الجزائر انظر ابو القاسم سعد الله، ج2، المرجع السابق، ص- ص 240-247.

[4]- عبد الرحمان العقون: المصدر السابق، ج1، ص – ص61- 63.

مـن الأصـوات الفرنسـية عـن مشـروع التـآخي الفرنسـي – الإسـلامي، وكانـت الإدارة الفرنسية

قـد سـعت لإدخـال بعـض الإصـلاحات الطفيفـة لإرضـاء القيـاد والبورجـوازيين، واسـتغلت رجـال الـدين الرسـميين فـي توجيـه دعايتهـا، وانتهجـت سياسـة الإغـراء لحـث الجزائـريين علـى التجنيـد، فكانـت حصـيلة المجنـدين بـادئ الأمـر أربعـين ألفـا، كمـا فرضـت علـى الجزائـريين العمـل فـي المهـن المسـاعدة للحـرب، وهكـذا جنـدت فرنسـا للحـرب ولأغـراض الحـرب حسـب الإحصـائيات الفرنسية 173019 فردا، أي ما يساوي 3.6 بالمائة من مجموع السكان.[5]

4– ثورات الجزائريين الشعبية إبان الحرب:

أ – انتفاضة 1914 ببني شقران:

مـا أن بـدأت الإدارة الاسـتعمارية بمنطقـة معسـكر فـي إعـداد قـوائم المجنـدين الجزائـريين حتـى بـدأت الأوضـاع تتـدهور، وأعلـن زعمـاء الأعـراش رفضـهم لسياسـة تجنيـد أبنـاءهم فـي اجتمـاع عـام ضـم منـاطق بنـي . شـقران والفراقيـق وأولاد سـعيد، وفـي يـوم 05 أكتـوبر 1914 سـيرت السـلطات الفرنسـية كتيبـة لإخضـاع شـباب بنـي شـقران لكـن الكتيبـة ردت علـى أعقابهـا هجومـات شـنها الثـوار بقيـادة قائـد رد السـلطات علـى هـذه الأحـداث عنيفـا، إذ أمـر الجنـرال "لاربـي" بمحاصـرة الـدواوير الثـائرة وحرقهـا وقمـع المتمـردين بـالقوة، وانتهـت هـذه الحـوادث باعتقـال عـدد السـكان مـنهم للمحاكمـة، حيـث صـدرت فـي حـق جـزء مـنهم أحكامـا قاسـية، وفرضـت العقوبـات الجماعيـة علـى أعـراش بنـي الفراقيق، فكان من وتقديم 42 شقران.[6]

ب – ثورة الاوراس 1916 – 1917:

---

[5]- ابو القاسم سعد الله، ، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، ص – ص 52- 54.

[6]- يحي بوعزيز: المرجع نفسه، ج2، ص ص 34-41.

عرفت منطقة الاوراس بثوراتها العديدة التي تؤكد على رفض السكان للاستعمار الفرنسي الذي صادر الأراضي وضايق السكان وسن قانون التجنيد

الإجباري، وقد الحكومة الفرنسية في 08 سبتمبر 1916 مرسوما ينص على تعطيل العمل بحق الإعفاء من التجنيد والتعويض. وفي 14 سبتمبر صدر مرسوم ثاني يقضي بتسخير العمال قصرا في الأعمال التي تخدم أغراض الحرب، وكانت بداية الثورة في منتصف عام 1914 عندما أعلن سكان بريكة وبالزمة وخنشلة وباتنة ألهم يفضلون الموت على تقديم أبنائهم للتجنيد، وبدأت عمليات فرار الشباب إلى الجبال ورد المتصرفون الإداريون على أعقابهم، وقد تم تسجيل عدة حوادث اعتداء في النصف الثاني من سنة 1916، وكانت حوادث ليلة 10/11 نوفمبر 1916 ببريكة وعين التوتة الانطلاقة الفعلية للثورة التي شملت كامل المنطقة من بريكة غربا إلى جبال الأوراس شرقا، وقام خلالها الثوار بحرق مزارع المستوطنين ومحاصرة مقر بلدية عين التوتة وقتل حاكم دائرة باتنة، وقد قدر "اجيرون" عدد الثوار بـ 4 ألاف شخص، وكان من أبرز قادتهم علي بن زلماط وأخوه المسعود في الاوراس وابن علي بن النوي في جبل متليلي.

وقد ردت الإدارة الفرنسية بعنف وقسوة على الثورة، إذ كلفت خمسة كتائب من الجنود السنغاليين بملاحقة مجموعات الثوار، وتهديم القرى وإحراق الممتلكات، فارتكبت العديد من المجازر التي اعترفت لجنة التحقيق البرلمانية بقسوتها، وانتهت حوادث هذه الثورة في شهر ماي 1917 بعد أن بلغ عدد قتلى الفرنسيين 15 رجلا وقتلى الجزائريين أكثر من 100 حسب

مصادر السلطة الفرنسية، كما قدم 2904 شخص للمحاكمة وصودرت الممتلكات وفرضت على السكان مبالغ باهظة.[7]

ج- ثورة التوارق:

أخضعت صحراء التوارق للاحتلال الفرنسي منذ بداية القرن 20، ووحد التوارق فرصتهم في الحرب العالمية الأولى ليعبروا عن رفضهم لهذا الدخيل الأجنبي، فاندلعت عدة انتفاضات للتواق توسعت في مناطق الصحراء.

د- ثورة واحات الصحراء الشرقية:

تشجع التوارق للتعاون مع المقاومين السنوسيين الذين طردوا الايطاليين والفرنسيين من إقليم فزان، وتزعم خليفة بن عسكر النالوتي الثورة في الممتدة ما بين الذهبيات وزوارة، وألحق خسائر باهظة بالفرنسيين مع نهاية 1915، وقاد التمرد أحمد سلطان الجانيتي والسي العابد السنوسي، وحاصر التوارق جانت مدة 18 يوما إلى أن حرروها وطردوا الحاشية الفرنسية منها، واعتقلوا فيما بعد قائدها الضابط "لوران"، ولكن القوات الفرنسية ما لبث أن عادت إلى جانت التي اضطر الثوار لاخلائها.

هـ- ثورة توارق الهقار:

قرر زعيمهم إبراهيم أق أباداكا طرد الفرنسيين من الهقار بعد ثورة فرحون بالنيجر وثورة التوارق بجانت، فكانت بداية الثورة التخلص من الراهب المخبر "شارل دو فوكو" في أول ديسمبر 1916، وامتدت الانتفاضة لتعم كامل منطقة الهقار طيلة ثلاث سنوات، اضطر في نهايتها إبراهيم اق

---

[7]- انظر حول هذه الثورة، عمار هلال: المرجع السابق، ص – ص161-257، وزوزو عبد الحميد: ثورة الاوراس، ص – ص ويحي بوعزيز: المرجع نفسه، ج2، ص ص 34-41، Charles Robert Ageron, op cit, T 2, p-

اباداكـا للاستسـلام، فـي حـين واصـل تـوارق الطاسـيلي الثـورة واعتـراض قوافـل الفرنسيين وإلحاق الهزائم هم.[8]

و- ثورة الجنوب الغربي:

قـام سـكان البربيشـي وأولاد حريـر والرقيبـات بـإعلان الثـورة علـى القـوات الفرنسـية، وأيـدهم فـي ذلـك أبنـاء عابـد بـن الكـونتي (شـيخ زاويـة كنتـه) منتهـزين فرصـة تسـيير الحاميـة الفرنسـية لمحاربـة ثـوار أغـادير، وقـد سـيطر الثـوار علـى منطقـة تـوات فـي شـهر جويليـة 1917، ولـم يـتمكن الضـابط كـوغيلي منهـا إلا بالاستعانة بقوات إضافية نهاية عام 1917.[9]

5-نتائج الحرب العالمية الأولى على الجزائريين

تحمـل الجزائريـون عبئـا ثقـيلا أبـان الحـرب العالميـة الأولـى وسـاهموا بشـكل فعـال فـي معـارك فرنسـا علـى الجبهـة الأوربيـة، وتشـير الإحصـائيات الـى حجـم المشـاركة الجزائريـة الكبـرى فـي الحـرب. إذ جنـدت فرنسـا مـا يقـارب 177 ألـف جنـدي، واسـتعانت بحـوالي 75 ألـف عامـل جزائـري للعمـل فـي المصـانع الفرنسية، وبلغ عدد الذين لقوا حتفهم في الحرب أكثر من 50 ألفا.

وقـد خلفـت الحـرب نتـائج كبـرى علـى الجزائـريين فـي ميـادين مختلفـة: فقـد صـدر قـانون 6 فيفـري 1919 الـذي ينـدرج فـي إطـار الإصـلاحات التـي بـادرت الحكومـة الفرنسـية بإرسـائها فـي الجزائـر، وذلـك بقصـد ترضـية الجزائـريين واظهـار اعترافهـا بالجميـل المقـدم. ونـص القـانون علـى مـنح الجنسـية الفرنسـية للجزائـريين وفـق شـروط تعجيزيـة، ومـنح حـق تمثيـل الأهـالي غيـر المـواطنين فـي المجـالس الاستشـارية، ولـم يغيـر شـيء فـي التمثيـل بالمجـالس

[8]- يحي بوعزيز: المرجع السابق، ج2، ص – ص 56- 68.

[9]- Bernard Augustin, Le Sahara française pendant la guerre, L'Afrique française (1920), supplément, p p 3-9

البلدية، أما في المجالس العامة فرفع نسبة التمثيل من 20% إلى 30%، و لم يمنح أي تمثيل للأهالي بالبرلمان الفرنسي بباريس.

وبدأ هذا الإصلاح هاما في نظر البعض كونه حدد علاقة الأهالي بفرنسا تحديد دقيقا ووسع القسم الانتخابي للجزائريين ومنح حق المشاركة للجزائريين في انتخاب رؤساء البلديات. لكن الإصلاح في جوهره كان ضئيلا ووضعت أمام تجسيده عراقيل جمة، وهو لم يرض حركة النخبة التي كانت تطالب بالتجنيس والاندماج الكلي بدل هذه الإصلاحات الجزئية.[10]

ومن جهة أخرى فقد كانت فترة الحرب فرصة لاختلاط الجزائريين بأبناء فرنسا في جبهات القتال وأوراش المصانع، وكان لهذا الاختلاط أثر كبير في نفوس الجزائريين الذين أحسوا بنوع من المساواة والاحترام لم يعهدوها في الجزائر، واكتشفوا أن المستوطنين عنصر فريد في طباعة وشراسة.

كما تعلم الجزائريون من الحرب دروسا لا تقدر بثمن، فقد شاعت بينهم أفكارا عديدة وعايشوا أجناسا مختلفة، ومارسوا عادات ومهن لم تكن معروفة لديهم، واستفادوا من تجارب ومهارات عدة. وقد بدا تأثر النخبة الجزائرية واضحا بأفكار الشرق العربي ومبادئ الرئيس "ولسن" والثورة البلشفية وظهور القومية، وكلها أدت إلى رفع مطالب تنادي بتقرير مصير الجزائر وتحقيق مطالب الشعب الجزائري السياسية، وما فنا أن عجت الساحة الجزائرية بالتيارات والأحزاب السياسية المختلفة الأهداف والتوجهات.

وعلى ضوء ما سبق يبدو لنا واضحا أن ظرفية الحرب العالمية الأولى كان لها وقعها شديدا على الجزائريين، فمنذ البداية عولت الدعاية الفرنسية والألمانية على استغلال الجزائريين في الحرب، وكان انتصار فرنسا

---

[10]- ابو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج2، ص – ص 257-280.

فـي هـذه الحـرب يعنـي عـودة الوضـع الـى حالـه رغـم الآمـال العريضـة التـي انبثقـت، كمـا أن مسـاعي حركـة النخبـة والمقاومـات الشـعبية فشـلت فـي تحقيـق أهـدافها، وهكـذا عـاد مصـير الجزائـر الـى سـلطة الإدارة الفرنسـية التـي حاولـت مسـايرة التغيـرات الحاصـلة ومنحـت بعـض الحقـوق الشـكلية للأهـالي الجزائـريين عام 1919.